ADDAMEER
الضمير

عنف السجون

مقتبس من تقرير انتهاكات حقوق الأسرى والأسيرات في سجون الاحتلال 2023

يتعرّض الأسرى الفلسطينيّون لأشدّ درجات التعذيب، والمعاملة المهينة واللاإنسانيّة داخل السجون الإسرائيليّة، وتتجلّى هذه الانتهاكات بوضوح في معاملة الأسرى المرضى والجرحى والمضربين عن الطعام، إضافة إلى ما يتعرّض له الأسرى الأصحّاء من سوء معاملة وتعذيب. ويُعدّ التعذيب والمعاملة اللاإنسانيّة سياسة قديمة تستخدمها دولة الاحتلال مع الأسرى، حيث سجّلت الحركة الأسيرة عدداً من الأسرى الذين تعرّضوا للتحقيق العسكريّ، والذي سبّب لهم أمراضاً و/أو إعاقات، و/أو تسبّب في استشهادهم، إلى جانب القوّة المفرطة التي تستخدمها وحدات السجن، أو الوحدات الخاصّة أثناء اقتحام أقسام السجون التي تؤدّي إلى وقوع إصابات، أو استشهاد بعض الأسرى. وعلى الرغم من أنّ هذا العنف هو سياسة ممتدّة، لكنّ بعد السابع من أكتوبر، شنّت مصلحة السجون هجوماً غير مسبوق على الأسرى في السجون الإسرائيليّة كافّة، واجتمعت سياسات عدّة لتجعل السجون أماكن لموت الأسرى الفلسطينيّين؛ حيث برزت سياسة الاعتداءات الجسديّة من خلال الضرب المبرح بالعصيّ والهراوات، واستخدام قنابل الغاز أثناء اقتحامات الغرف الاعتقاليّة، أو أثناء عمليّات الفحص الأمنيّ، أو ما يعرف بالعدد، حيث صرّح عدد كبير من الأسرى في مختلف السجون بتعرّضهم للضرب الشديد على يد وحدات السجن أو الوحدات الخاصّة، وصاحبَ هذه الاعتداءات حرمان الأسرى من الحصول على أيّة رعاية طبّيّة، أو نقلهم إلى عيادات السجون؛ الأمر الذي أدّى في كثير من الحالات إلى ترك السجين أرضاً ينزف دماً لساعات طويلة، أو يعاني من آثار الإصابات، وأسهم ذلك في سقوط مجموعة من الشهداء خلال العام.

سجّل تاريخ الحركة الأسيرة ما يقارب 233 شهيداً، بعضهم استشهد بسبب الإهمال الطبّيّ المتعمّد الذي تمارسه مصلحة السجون مع الأسرى، والبعض الآخر استشهد بسبب الضرب المبرح والتعذيب الذي تعرّضوا له في السجون الإسرائيليّة، ونذكر أنّ هذا العدد هو عدد الشهداء ما قبل عام 2023. ومنذ بداية عام 2023 حتّى السابع من أكتوبر، استشهد الأسير الطفل وديع أبو رموز في تاريخ 25/1/2023، بعد أن أُصيب عقب اقتحام بلدة سلوان، وتمّ الإعلان عن استشهاده بعد احتجازه في المشفى، واستشهد الأسير أحمد أبو علي من يطا-الخليل في تاريخ 10/2/2023 بسبب سياسة الإهمال الطبّيّ، والمماطلة في تقديم العلاج، واستشهد أيضاً الأسير محمود حمدان في تاريخ 1/3/2023، والذي كان قد تمّ إعدامه خارج نطاق القانون، وتمّ احتجازه من قبل قوّات الاحتلال، إضافة إلى الأسير خضر عدنان الذي استشهد في تاريخ 2/5/2023 بعد شروعه في إضراب عن الطعام استمرّ لمدّة 86 يوماً.

مع توالي الشهادات والتقارير لسوء المعاملة الشديد، والتعذيب الذي يتعرّض له الأسرى الفلسطينيّون في السجون الإسرائيليّة، أكّد الأسرى الفلسطينيّون بمختلف الأعمار والفصائل تعرّضهم للضرب المبرح، والإهمال الطبّيّ المتعمّد الذي يرقى لدرجة التعذيب، وهذه الانتهاكات تشكّل أعمدة رئيسيّة لمصلحة السجون، حيث إنّ مصلحة السجون تضرب الأسرى بهذه السياسات للنيل من إرادتهم. وبعد السابع من أكتوبر، أكّدت شهادات الأسرى، وأجساد المحرّرين منهم التي انتشرت فيها الأمراض، وظهرت عليها علامات الإرهاق بفعل الضرب والتعذيب، على ارتفاع وتيرة الجرائم بشكل غير مسبوق، حيث سجّلت الحركة الأسيرة 12 شهيداً منذ السابع من أكتوبر حتّى نهاية شهر 2 من عام [1]2024.

[1] نؤكّد أنّ هذا الرقم لا يعكس الرقم الحقيقيّ للشهداء، بل هذا الرقم هو ما تمّ الإعلان عنه رسميّاً من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيليّ. إلّا أنّ هناك شكوكاً معقولة بوجود عدد من الشهداء في معسكرات الجيش الإسرائيليّ التي يتمّ فيها إخفاء أسرى قطاع غزّة، ولا تزال السلطات الإسرائيليّة ترفض الإفصاح عن مصير هؤلاء المحتجزين.

كان أول شهيد في الحركة الأسيرة بعد السابع من أكتوبر هو الأسير عمر ضراغمة (58 عاماً) من مدينة طوباس، الذي أُعلن عن استشهاده في تاريخ 23/10/2023، وقد كان رهن الاعتقال الإداريّ في سجن مجدّو. كانت قوّات الاحتلال قد اعتقلت ضراغمة إلى جانب نجله حمزة في تاريخ 9/10/2023، وقد جرى تحويل كليهما إلى الاعتقال الإداريّ لمدّة 6 أشهر. أكّد محامي الشهيد الأستاذ أشرف أبو سنينة حضور ضراغمة لجلسة المحاكمة التي عُقدت عبر تقنية زوم، في محكمة عوفر باليوم ذاته الذي أعلن فيه عن استشهاده، وأكّد أبو سنينة سَيْر المحكمة بشكل طبيعيّ، وكانت الإجراءات طبيعيّة، وعندما قام المحامي بسؤال ضراغمة عن شعوره، أجاب "بخير"، مع العلم أنّه أوضح أنّ الوضع في السجن بشكل عام كان صعباً، وتصرّفات مصلحة السجون مع الأسرى كانت عنيفة. وبعد ساعات من انعقاد الجلسة تمّ الإعلان عن وفاته؛ الأمر الذي يطرح تساؤلاً عن الظروف التي استشهد فيها الأسير، حيث إنّه ليس الوحيد الذي لا تزال ظروف استشهاده غامضة. واستشهد الأسير عرفات ياسر حمدان (23 عام) من بلدة بيت سيرا- رام الله، في سجن "عوفر" بتاريخ 24/10/2023، وذلك بعد يومين من تاريخ اعتقاله من قبل قوّات الاحتلال، وتمّ الإعلان عن استشهاده بعد أقلّ من 24 ساعة على استشهاد الأسير عمر ضراغمة.
وبتاريخ 6/11/2023 أُعلن عن استشهاد ماجد أحمد زقول (32 عام) من سكّان قطاع غزّة، بعد احتجازه في سجن عوفر الإسرائيليّ. زقول هو أحد العمّال الذين تمّ اعتقالهم بعد السابع من أكتوبر، ويذكر أنّه لم يتمّ إخطار عائلة زقول، بل نشر خبر وفاته في الإعلام. ونذكر أنّه بعد استشهاد زقول، استشهد أسير آخر من قطاع غزّة، وكانت سلطات الاحتلال قد أخفت جريمة اغتياله لفترة من الزمن، إلى أن تمّ الإعلان عنها عبر وسائل الإعلام، وتمّ التأكيد على استشهاده أثناء احتجازه في معسكر (عناتوت)، بالقرب من القدس، لكنّه لا يزال مجهول الهويّة؛ بسبب رفض سلطات الاحتلال الإفصاح عن هويّته.

وأُعلن عن استشهاد الأسير عبد الرحمن مرعي (33 عاماً) من سلفيت/ قراوة بني حسان في تاريخ 13/11/2023، واستشهد الأسير ثائر أبو عصب (38 عاماً) من قلقيلية في تاريخ 18/11/2023، جرّاء اعتداء وحدات الكيتر عليه، كما استشهد الأسير عبد الرحمن البحش (23 عاماً) من مدينة نابلس في تاريخ 1/1/2024 نتيجة للاعتداء عليه من قبل السجّانين، وإهماله طبّيّاً، وعدم تقديم العلاج اللازم له. وفي تاريخ 8/2/2024 استشهد الأسير محمد أحمد الصبّار (21 عاماً) من بلدة الظاهريّة في الخليل، جرّاء تعرّضه لجريمة طبّيّة، حيث إنّه يعاني من مشكلة خَلقيّة في المعدة والأمعاء، وكان يتلقّى علاجاً بشكل منتظم، إلّا أنّه منذ اعتقاله تمّ حرمانه من العلاج، ومع اتّباع سياسة التجويع تعرّض الأسير إلى وعكة صحّيّة، واستشهد على أثرها. وسيتمّ التطرّق لحالات هؤلاء الشهداء بشكل تفصيليّ في هذا الباب. وفي تاريخ 12/2/2024 استشهد الأسير الطفل محمد أبو سنينة (16 عاماً) من مدينة القدس، متأثّراً بجراحه التي أصيب بها يوم 11/2/2024 بعدما تمّ اعتقاله وهو جريح. وفي تاريخ 21/2/2024 استشهد الأسير خالد الشاويش (53 عاماً) من مخيّم الفارعة/طوباس، ونذكر أنّه كان يعاني من شلل بسبب إصابته أثناء الاعتقال منذ عام 2007.

وفي تاريخ 20/2/2024 استشهد الأسير "عز الدين البنا" من قطاع غزّة الذي بحسب شهادات الأسرى كان يعاني من إعاقة حركيّة وأمراض عدة، وتعرّض بعد اعتقاله لتعذيب شديد أدّى إلى تفاقم حالته الصحّيّة، ثمّ استشهاده متأثراً بها، وأُعلن عن استشهاده في تاريخ 23/2/2023. وأُعلن أيضاً عن استشهاد الأسير عاصف الرفاعي (22 عاماً) من بلدة كفر عين-رام الله المصاب بمرض السرطان بتاريخ 29/2/2024.

ونؤكّد أنّ ما جاء سابقاً هو أسماء الشهداء الذين تمّ الإعلان عنهم رسميّاً، إلّا أنّ صحيفة (هآرتس) الإسرائيليّة قامت بنشر تقرير بتاريخ 7/3/2024 يفيد باستشهاد 27 فلسطينيّاً من قطاع غزّة خلال احتجازهم في معسكرات الجيش الإسرائيليّ. وأفاد التقرير أنّ بعضهم كان يعاني من أوضاع صحّيّة، ويتلقّى العلاج قبل الاعتقال، أمّا الباقي فاستشهدوا بسبب التعذيب الذي تعرّضوا له، وظروف الحياه القاسية التي تمّ احتجازهم فيها[2]. وهذا ما أكّدته مجموعة من الأسرى المحرّرين من تلك المعسكرات، والذين أكّدوا لوسائل الإعلام تعرّضهم للضرب المبرح، والتكبيل، وتعصيب الأعين طوال فترة الاحتجاز، إضافة إلى سياسة التجويع التي اتّبعها الجيش بحقّهم. ونذكر أنّ أسماء هؤلاء الشهداء، وأسباب استشهادهم لا تزال مجهولة؛ بسبب تكتُّم دولة الاحتلال على أيّة معلومة عن المحتجزين في المعسكرات.

الشهيد خضر عدنان

"ليرحل كما عاش.. باحثا عن الحريّة"

خضر عدنان، 45 عاماً، من بلدة عرّابة/ جنين، يمارس مهنة الخبازة، ونشيط في المجال السياسيّ. متزوّج وأب لتسعة أطفال، أكبرهم يبلغ من العمر 14 عاماً، وأصغرهم يبلغ عاماً ونصف. تمّ اعتقال عدنان حوالي 12 مرّة خلال حياته، وأمضى ما مجموعه 8 سنوات في السجون الإسرائيليّة، وكان معظمها (ما يقارب ستّ سنوات)، رهن الاعتقال الإداريّ الذي يسمح للاحتلال الإسرائيليّ باحتجاز الفلسطينيّين دون تهمة أو محاكمة. واجه عدنان سياسة الاعتقال الإداريّ التعسّفيّ عن طريق خوضه إضرابات مفتوحة عن الطعام، إحدى الأدوات السلميّة المتاحة للأسرى لمواجهة هذه السياسة التعسّفيّة، وغيرها من انتهاكات حقوق الإنسان التي تمارسها إدارة مصلحة السجون. فخاض عدنان 6 إضرابات مفتوحة عن الطعام خلال سنوات اعتقاله، أربعة منهاجاءت رفضاً لاعتقاله الإداريّ التعسّفيّ، وآخرها رفضاً لوضعه في الحبس الانفراديّ.

[2] Haaretz. “27 Gaza Detainees Have Died in Custody at Israeli Military Facilities Since the Start of the War”. 7 March 2024 https://www.haaretz.com/israel-news/2024-03-07/ty-article/.premium/27-gaza-detainees-died-in-custody-at-israeli-army-facilities-since-the-start-of-the-war/0000018e-1322-d950-a18e-f3bbaa370000?mid5232=open

تكرّرت الاعتقالات الإداريّة لخضر عدنان، بدءاً من أوّل اعتقال له من قبل سلطات الاحتلال خلال سنوات دراسته في جامعة بيرزيت، حيث أمضى في الاعتقال الأوّل 4 أشهر، وبعد إنهاء مرحلة الدراسة أمضى ما يقارب 6 سنوات رهن الاعتقال الإداريّ، التي كان آخرها عام 2018. وكانت الذريعة لاعتقاله الإداريّ هي زعم الاحتلال انتماءه لتنظيم الجهاد الإسلاميّ الذي يصنّفه الاحتلال تنظيماً محظوراً.

شهد تاريخ 17/12/2011 اعتقالاً بارزاً لعدنان، والذي خاض خلاله إضراباً مفتوحاً عن الطعام؛ ليعبّر عن رفضه اعتقاله الإداريّ التعسّفيّ، واستمرّ الإضراب ما يقارب 65 يوماً، وانتهى بتحقيق مطلب الإفراج عنه بتاريخ 17/04/2012. ونشط عدنان بعد الإفراج عنه في فعاليّات التضامن السلميّ مع الأسرى حتّى تمّ إعادة اعتقاله في مطلع شهر تموز 2014، وتوالت الاعتقالات حتّى الاعتقال الأخير الذي جاء على خلفيّة تصريحات مختلفة له في وسائل الإعلام.

وأعادت قوّات الاحتلال اعتقال عدنان في تاريخ 5/02/2023 بعدما قامت وحدة من الجيش الإسرائيليّ بتفجير باب المنزل واقتحامه، وباشروا بتفتيش المنزل بعنف، دون مراعاة لتواجد أطفال نائمين. وبعد الانتهاء من التفتيش قاموا بتكبيل يدي عدنان إلى الخلف بمرابط بلاستيكيّة وتعصيب عينيه، واقتيد إلى معسكر (دوتان)، ومن لحظات اعتقاله الأولى أعلن عدنان إضرابه عن الطعام؛ رفضاً لاعتقاله التعسّفيّ. وبعدها قامت دولة الاحتلال بتقديم لائحة اتّهام ضدّ عدنان تضمّنت بندين رئيسيّين، واعتمدت بشكل أساسيّ على اعترافات قديمة تفيد عضويّته في تنظيم الجهاد الإسلاميّ، التي عبّر عنها الاحتلال بعبارة "الانتماء إلى تنظيم إرهابيّ"، مضافاً إليها تهمة "التحريض"، حيث كيّفت النيابة العسكريّة الإسرائيليّة الزيارات التي كان يقوم بها خضر عدنان إلى عائلات الأسرى الفلسطينيّين، ومشاركته في جنازات الشهداء الذين قتلوا على أيدي جنود إسرائيليّين، وإلقاء خطابات في هذه المحافل على أنّها أفعال تأتي شكلاً من أشكال التحريض.

يكفل القانون الدوليّ للأسرى حقّهم في مباشرة الإضراب المفتوح عن الطعام، ويؤكّد أيضاً ضرورة الحفاظ على كرامة وحياة الأسرى خلال فترة الإضراب. وإعلان عدنان إضرابه عن الطعام وضع على مصلحة السجون الإسرائيليّ التزاماً بأخذ جميع الإجراءات اللازمة التي تمنع الموت المفاجئ للأسير، وضمان سلامته الجسديّة طيلة فترة الإضراب، مع العلم أنّ القانون الدوليّ يمنع التغذية القسريّة، و/أو العلاج القسريّ للأسرى كإجراء عقابيّ أثناء فترة الإضراب، ويحظر أيضاً الممارسات التي تقترن في التهديد، و/أو التكبيل، أو الإكراه والتي تعدّ شكلاً من أشكال المعاملة اللاإنسانيّة والمهينة.

عقب إعلان عدنان إضرابه عن الطعام جاء ردّ مصلحة السجون بمعاقبته عن طريق وضعه بالعزل الانفراديّ في زنازين الجلمة. احتجز عدنان في القسم (أ) من قسم المدنيّين، الذي يحتوي على 3 زنازين للعزل. كانت ظروف العزل في الجلمة قاسية جداً، حيث كانت الزنزانة مليئة بالحشرات، وباردة جداً، وكانت مساحة الزنزانة ضيّقة جدّاً، وتبلغ 180*180 سم، ومن ضمنها يوجد حمّام عربيّ، ودوش عليه باب مكشوف إلى الخارج، وفيها برش من باطون، ولم تقم إدارة مصلحة السجون بتوفير وسادة، ولم يخرج للفورة أبداً[3].

[3] مقابلة أجراها محامي مؤسّسة الضمير مع الأسير خضر عدنان في عزل الجلمة بتاريخ 8 آذار 2023

ومع وجود عدنان في غرفة عزل الجلمة التي لا يوجد فيها أيّ نوع من الكهربائيّات، وهو يعاني من ظروف صحّيّة خطرة جدّاً، كونه لم يأخذ أيّ نوع من المدعمات أو الفيتامينات، ولم تقدّم له مصلحة السجون أيّ نوع من الرعاية الطبّيّة، وممارسة سلطات الاحتلال الإهمال الطبّيّ بادّعائها أنّ عدنان رفض الخضوع للعلاج الطبّيّ، إلّا أنّ سلطات الاحتلال في الحقيقة منعته من الحصول على العلاج الطبّيّ المتخصّص في مشفى مدنيّ، وخضوعه إلى المراقبة الطبّيّة التي يحتاجها، مع العلم أنّه أشار إلى المحامي خلال زيارة أجراها أنّه على استعداد لأن يخضع للفحوصات الطبّيّة في حال حضور طبيب خارجيّ، أو أحد أطبّاء "جمعيّة أطبّاء لحقوق الإنسان"، إلّا أنّه لم يوافق على هذا الطلب، وأبقت مصلحة السجون على احتجازه في العزل بشكل تعسّفيّ. وفي اليوم الـ32 من الإضراب، تحديداً بتاريخ 8/03/2023 أبلغته إدارة السجن بأنّه سيتمّ نقله إلى عيادة سجن الرملة؛ نتيجة تعرّضه إلى الإغماء المستمرّ، وتقيّؤ الدماء، ومعاناته من ضعف عام في النظر، وعدم القدرة على المشي. وبالرغم من وضعه الصحّيّ الحرج، وخطر الموت المفاجئ، مارست مصلحة السجون سياسة الإهمال الطبّيّ بحقّ عدنان، وفي ظلّ وضعه الصحّيّ الحرج، لم يتمّ توفير كرسيّ متحرّك في زنزانة العيادة، ورفضت مصلحة السجون طلبات نقله إلى مشفى مدنيّ مرّات عدّة. ومع محاولات جمعيّة أطبّاء لحقوق الإنسان التواصل مع وزارة الصحّة الإسرائيليّة، ومشفى (كابلان)، ومصلحة السجون للطلب بضرورة نقله إلّا أنّهم جميعاً رفضوا طلبهم. وتواطأت المنظومة الاستعماريّة بجميع أجهزتها، واستمرّ القضاة العسكريّين في تمديد إجراءات المحاكمة؛ ما يوضّح شكليّة وتعسفيّة هذه الاجراءات.

وبرفض سلطات الاحتلال نقل عدنان إلى مشفى مدنيّ متخصّص، ونقله إلى عيادة سجن الرملة غير المؤهّلة لاستيعاب الوضع الطبّيّ الخطير لعدنان، تكون قد انتهكت القانون الدوليّ الذي يكفل تقديم الرعاية الطبّيّة لجميع المعتقلين دون تمييز، إلّا أنّ سلطات الاحتلال تحرم الأسرى الفلسطينيّين من الرعاية الطبّيّة لاعتبارات قوميّة وسياسيّة، ولا يوجد لديهم إمكانيّة الوصول إلى المرافق الطبّيّة، أو الأطبّاء بسهولة سواء داخل السجن أو خارجه.

وعلى الرغم من الإجراءات التعسّفيّة التي تمّ اتّخاذها، كوضعه في العزل الانفراديّ في ظروف سيّئة جدّاً على الصعيد الإنسانيّ والصحّيّ، إلّا أنّ التنكيل بخضر لم يقف عند هذا الحدّ، بل فُرضت على عدنان جملة من العقوبات التي كان أبرزها حرمانه من الزيارات العائليّة، فلم يتمكن أطفال عدنان من زيارة والدهم طوال فترة احتجازه، ولم تتمكّن زوجته من رؤيته، أو التواصل معه إلّا من خلال جلسات المحاكمة التي كانت تُعقد عبر (الفيديو كونفرنس). وفي تاريخ 23/04/2023 قامت الطبيبة لينا قاسم رئيسة الهيئة الإداريّة في جمعيّة أطبّاء لحقوق الإنسان بزيارة الأسير خضر عدنان في عيادة سجن الرملة، وفي تقرير كتبته عقب زيارتها، أوضحت أنّ عدنان يعاني من صعوبة في التنقّل، وفقدان الوزن بصورة مفرطة، حيث فقد ما يقارب الـ 60 كيلوغراماً من وزنه، ويعاني من ضعف القوّة الإجماليّة في الأطراف، وأوضحت أنّ عدنان يرفض الخضوع إلى الفحوصات الطبّيّة داخل عيادة سجن الرملة، بل يطلب نقله إلى مشفى متخصّص ليقوم بجميع الفحوصات اللازمة، ويكون تحت رعاية طبّيّة مناسبة، وفي ظروف ملائمة. ومع التدهور الكبير في صحّته، وعلى الرغم من تقديم جمعيّة أطبّاء أكثر من التماس للمحاكم الإسرائيليّة ليتمّ نقله إلى المشافي، إلّا أنّ المحاكم رفضت هذه الالتماسات، وتمّ الإبقاء على عدنان في عيادة سجن الرملة.

ومع محاولات محامي الدفاع للإفراج عن عدنان تقدّم بأكثر من طلب للإفراج عنه، وعقدت جلسة استماع بتاريخ 23/4/2023 للنظر في طلب الإفراج عن عدنان بكفالة؛ بسبب وصوله إلى وضع يشكّل خطراً حقيقيّاً ومؤكّداً على حياته، وأكّد المحامي خلال الجلسة على ضرورة الإفراج عن عدنان بسبب خطر الموت المفاجئ، إلّا أنّ المحكمة العسكريّة في سالم لم تستجب إلى طلب المحامي، ورفضت الطلب، وقرّرت الإبقاء على احتجاز عدنان.

ومع رفض طلب الإفراج بكفالة تقدّم محامي الدفاع بطلب لاستئناف القرار، إلّا أنّ المحكمة العسكريّة للاستئنافات ماطلت في الإجراءات، وقرّرت تعيين جلسة في العاشر من أيّار، على الرغم من التقارير الطبّيّة التي تؤكّد على خطر موت عدنان بشكل مفاجئ، ومع ذلك وضع عدنان لم يؤخذ بعين الاعتبار أثناء تعيين موعد الجلسة. وأُعلن عن استشهاد عدنان بعدما وُجد فاقد الوعي، داخل زنزانة العزل في عيادة سجن الرملة بتاريخ 2 أيار 2023.

ما حصل مع عدنان يُظهر التواطؤ بين مصلحة السجون والمحاكم العسكريّة الإسرائيليّة والسياسة الواضحة والممنهجة للنيل من الأسرى، خاصّة الناشطون منهم حتّى سقط عدنان شهيداً. وتتحمّل سلطات الاحتلال المسؤوليّة المباشرة والكاملة عن استشهاده، وعن أفعالها التي ترتقي إلى درجة التعذيب والمعاملة القاسية، وذلك في ظلّ اتفاقيّة منع التعذيب، وغيرها من ظروف المعاملة القاسية واللاإنسانيّة، التي منعت التعذيب وسوء المعاملة، وصنّفت عدم توفير الرعاية الكافية للأسرى من قبيل التعذيب، إضافة إلى الإهمال الطبّيّ المتعمّد الذي يرتقي إلى درجة القتل العمد. وفي حين أنّ الإهمال الطبّيّ المتعمّد أحد أهمّ العوامل التي أدّت إلى استشهاد عدنان، إلّا أنّه لم يكن العامل الوحيد. فتعرُّض عدنان لسوء المعاملة أثناء فترة وجوده في عزل سجن الجلمة، منها تعرُّضه لإرهاق جسديّ متعمّد لإحداث تدهور أكبر في حالته الصحّيّة الضعيفة بالأساس. ووفقاً لزوجته والفريق القانونيّ الذي كان يتابع قضيّة عدنان، صرّحوا بأنّه أُرغم على بذل مجهود جسديّ شاقّ، ففي تاريخ 27/04/2023 (اليوم 82 من الإضراب)، أُجبر على المشي مسافات طويلة؛ للوصول إلى المكان المخصّص لانعقاد المحكمة التي كانت على تقنية (الفيديو كونفرنس).

لا يزال جثمان خضر عدنان محتجزاً عند سلطات الاحتلال حتّى اليوم، وبذلك يزيد عدد جثامين الأسرى المحتجزة إلى 13 جثماناً[4]، لا يزال الاحتلال يحرمهم من حقّهم في الدفن. وبذلك، يعدّ احتجاز جثمان عدنان إجراءَ عقابيّاً آخر بحقّ عائلته بشكل خاصّ، فلا يزال الاحتلال يمنع عائلته من إلقاء نظرة الوداع، ودفنه بطريقة لائقة، ويمنعهم من الاطّلاع على التقارير الطبّيّة التي تبيّن سبب الوفاة، وتؤكّد حدوث واقعة الوفاة. وهذا يشكّل مثالاً آخر للتعسّف والإجحاف التي تمارسه دولة الاحتلال مع الأسرى المضربين عن الطعام، وبهذه السياسة تحاول دولة الاحتلال كسر عزيمة الأسرى في معركتهم لانتزاع الحريّة.

[4] هذا الرقم يعكس عدد الجثامين المحتجزة حتّى تاريخ استشهاد الأسير خضر عدنان.

الشهيد عبد الرحمن مرعي

استشهد الأسير عبد الرحمن أحمد مرعي (33 عاماً) من بلدة قراوة بني حسان الواقعة شمال غرب سلفيت، وكان موقوفاً للمحاكمة، ومحتجزاً في سجن "مجدّو". بتاريخ 13/11/2023، استشهد نتيجة تعرّضه للضرب المبرح بعد هجمة شنّتها قوّات خاصّة من وحدة السجون على الزنزانة التي كان يتواجد فيها. يذكر بأنّ مرعي كان قد تمّ اعتقاله بتاريخ 25/2/2023، وهو متزوّج وأب لأربعة أبناء.

بعد وقوع الوفاة بعشرة أيّام، تمّ تشريح الجثمان في معهد "أبو كبير" للتشريح في إسرائيل، وكان قد حضر عمليّة التشريح طبيب من قبل جمعيّة أطبّاء لحقوق الإنسان –في إسرائيل، بالنيابة عن عائلة مرعي. وأكّدت نتائج التشريح أنّ مرعي أصيب بكدمات في صدره، وكسور في الأضلاع وعظم الصدر. كما رصد تقرير الطبّ الشرعيّ وجود كدمات خارجيّة في رأسه، ورقبته، وظهره، وأردافه، وذراعه اليسرى، والفخذ[5]، وبحسب التقرير الذي تمّ الحصول عليه من قبل أطبّاء لحقوق الإنسان، لم يتمّ رصد أيّ ضرر في الأعضاء الداخليّة للجسم، كالدماغ والرئتين والطحال، إضافة إلى عدم وجود أيّ نزيف داخليّ. ولكنّ الطبيب المشارك بالتشريح أكّد أنّ الضرب المبرح الذي أدّى إلى كسور وإصابات في أنحاء جسد مرعي، يمكن أن يكون قد نتج عنها عدم انتظام في دقّات القلب، أو أزمة قلبيّة[6].

[5] Haaretz. “Six Palestinians Have Died in Israeli Prisons During the War, Two Found Bruised”. 9 December 2023 https://www.haaretz.com/israel-news/2023-12-09/ty-article-magazine/.premium/six-palestinians-have-died-in-israeli-prisons-during-the-war-two-found-bruised/00000018c-4ea8-df4b-a78e-dfab60f10000

[6] تقرير تشريح جثمان الشهيد عبد الرحمن مرعي في تاريخ 23 تشرين الثاني 2023

أفاد الأسير المحرّر (س، ع) المفرج عنه بتاريخ 16/11/2023 تفاصيل حادثة اغتيال عبد الرحمن مرعي، بقوله: "كنت في نفس الزنزانة مع عبد الرحمن، ومنذ السابع من أكتوبر بدأت قوّات خاصّة من وحدات السجون تأتي كلّ أحد وثلاثاء على الزنازين، وتقوم بتقييد أيادي السجناء خلف ظهورهم وضربهم بشكل مبرح. في ذات يوم اغتيال عبد الرحمن دخلوا علينا، وقيّدوا أيدينا خلف ظهورنا، وبدأوا بعمل حفلة حولنا، وبدأوا بالاستهزاء والسخرية من عبد الرحمن، وشتموا والده الراحل الذي توفي مؤخّراً، وبدأوا بالصراخ عليه، ثمّ قام حوالي 15 فرداً من القوّة الخاصّة بإحاطته والاعتداء عليه، وضربه بشدّة، استمرّت الضربات نحو خمس دقائق، وركّزوا على ضربه على رأسه، ثم أخذوه بعيداً، وأكمل قائلاً: "بعد أسبوع تقريباً، علمنا بوفاة عبد الرحمن مرعي[7]".

وبالرجوع إلى الأدلّة الواضحة التي تضمّنها تقرير الطبّ الشرعيّ الذي يؤكّد أنّ مرعي تعرّض للضرب والتعذيب أثناء عمليّة اقتحام القوّات الخاصّة لزنزانتهم، والاعتداء عليه في تاريخ 7/11/2023، قرّر قاضي إسرائيليّ في محكمة الخضيرة في تاريخ 13/12/2023 فتح تحقيق فوريّ في قضيّة استشهاد الأسير عبد الرحمن مرعي، واستشهاد الأسير عمر ضراغمة، وجاء هذا القرار بعدما تبيّن للمحكمة أنّ مرعي تعرّض للضرب المبرح والتعذيب، حيث توجد إصابات وعلامات، وآثار للجريمة على جسده. وطلب القاضي من الشرطة الإسرائيليّة تزويد المحكمة بتفاصيل الجهة التي حقّقت في حادث استشهاد الأسير مرعي من قبل إدارة السجون، على أن يتمّ تزويد المحكمة ومحامي عائلة مرعي بتقرير الطبّ الشرعيّ الرسميّ حتّى تاريخ 15/12/2023.

وأكّدت هيئة شؤون الأسرى والمحرّرين معرفة عيادة السجن بالاعتداء الذي حصل على مرعي، والحالة الصحّيّة الصعبة التي يعاني منها، وأنّ الضرب الذي تعرّض له قد تسبّب بضرر حقيقيّ قد يشكّل تهديداً على حياته، إلّا أنّهم لم يقوموا بفحص مرعي بتاتاً منذ تاريخ الاعتداء عليه حتى الإعلان عن استشهاده، ولم تُقدَّم له العلاجات والأدوية[8].

وبعد فتح التحقيق في ظروف وملابسات استشهاد مرعي، عقدت جلسة للنظر في القضيّة في تاريخ 16/1/2024 وحضرها محامي هيئة شؤون الأسرى، وأكّدت الهيئة بعد انتهاء الجلسة أنّ آخر الأدلّة القطعيّة على ارتكاب هذه الجريمة هو رواية مندوبة نيابة الاحتلال في محكمة الخضيرة، والتي نقلت في جلسة المحكمة التي عقدت بحضور طاقم قانونيّ من هيئة شؤون الأسرى والمحرّرين، ومدّعية عامّة من قبل ما يسمّى نيابة لواء الناصرة، ومندوب شرطة أم الفحم التابعين لدولة الاحتلال وجهازه القضائيّ، والتي سردت خلال استجوابها أنّ: "عبد الرحمن قام يوم 7/11/2023 بالاعتداء بالعضّ على أحد شرطة السجن، ومباشرة تعرّض للضرب المبرح والاعتداء عليه من قبل مجموعة كبيرة من السجّانين، ولم يتمّ تقديم العلاج اللازم له، وفقط تمّ فحصه من قبل عيادة السجن، وأشارت إلى وجود إصابات بالغة في وجهه، والقسم العلويّ من جسده وبالأخصّ في البطن، وإحداث خلل في الرئتين، ونُقل وهو يعاني من إصابات بالغة وخطيرة، وينزف الدماء إلى زنزانة انفراديّة، وفي 13/11/2023 استشهد في زنزانته".

[7] Haaretz. “Six Palestinians Have Died in Israeli Prisons During the War, Two Found Bruised”. 9 December 2023 https://www.haaretz.com/israel-news/2023-12-09/ty-article-magazine/.premium/six-palestinians-have-died-in-israeli-prisons-during-the-war-two-found-bruised/0000018c-4ea8-df4b-a78e-dfab60f10000

[8] وكالة وطن للأنباء. "الاحتلال يعترف بأنّ الأسير عبد الرحمن مرعي استشهد نتيجة الضرب المبرح". 17 كانون الثاني 2024 https://www.wattan.net/ar/news/425490.html

وأضاف ممثّل المدّعي العام بناء على الرواية التي أدلى بها أثناء جلسة المحكمة التي عُقدت بحضور فريق قانونيّ من هيئة شؤون الأسرى، أنّ الأسير المتوفَّى عبد الرحمن مرعي تمّ نقله وهو يعاني من إصابات بالغة وخطيرة، ونزيف إلى زنزانة انفراديّة، وفي 13/11/2024 وُجد ميتاً في زنزانته؛ الأمر الذي يثبت تعرُّض الأسير عبد الرحمن للتعذيب قبل وفاته على يد شرطة إدارة السجن. ومع ذلك وبعد تشريح جثمان مرعي، تدّعي سلطات الاحتلال أنّ تقرير الطبيب الشرعيّ الأوّليّ لم يحدّد بوضوح سبب الوفاة، لذلك قضت المحكمة بنقل الجثمان لفحص أكثر عمقاً في مستشفى تل هشومير، وعليه سيتمّ إعداد تقرير نهائيّ حول أسباب الوفاة، ووفقاً لذلك حدّدت جلسة يوم 25/1/2024.

ومن الجدير بالذكر أنّ السلطات الإسرائيليّة لم تكمل الإجراءات في قضيّة استشهاد الأسير عبد الرحمن، وأنّها ما زالت تحتجز جثمان الشهيد المذكور كباقي الأسرى الذين لقوا حتفهم في السجون الإسرائيليّة[9].

[9] The Palestinian Information Center. “Detainees Commission: Prisoner Marei Brutally Executed in Israeli Jail”. 18 January 2024 https://english.palinfo.com/Zionist-Terrorism/2024/01/18/312981/

الشهيد ثائر أبو عصب

استشهد الأسير ثائر أبو عصب (39 عاماً) من مدينة قلقيلية بتاريخ 18/11/2023 بعد تعرّضه للضرب المبرح، والتعذيب على أيدي وحدة "الكيتر" المخصّصة لسجن النقب، والمسؤولة عن قمع السجون والتدخّل في حالات الطوارئ[10]. يذكر أنّ أبو عصب تمّ اعتقاله في عام 2005 وتمّ الحكم عليه بالسجن لمدّة 25 عاماً.

بعد أيّام قليلة من وفاة الأسير أبو عصب، طالبت عائلته بإجراء تحقيق في ظروف استشهاده، إلّا أنّ السلطات الإسرائيليّة أجابت على طلب العائلة في اليوم ذاته، بأنّه تمّ تشريح الجثمان بعد يومين من واقعة الاستشهاد، وذلك بعد الحصول على قرار من قبل المحكمة الإسرائيليّة يسمح بتشريح الجثمان، ونصّ قرار المحكمة على السماح بتنفيذ الإجراءات دون الحصول على موافقة العائلة، مدّعيةً صعوبة الاتّصال بسكّان الضفّة الغربيّة أثناء حالة "الحرب".

[10] لمعرفة المزيد عن وحدة الكيتر، انظر فصل سياسات السجون الحالة الدراسيّة لسجن النقب

غرفة رقم (10) القسم (27) تشهد على جريمة اغتيال "أبو عصب"

بتاريخ 18/11/2023 في عدد الساعة 6 مساء، اقتحم السجّانون الغرفة رقم (10) في القسم 27، حيث كان يحتجز فيها 10 أسرى من ضمنهم الأسير ثائر أبو عصب، قام السجّانون بالاعتداء على جميع مَن في الغرفة بالضرب، وبعدها اقتحم حوالي 20 عنصراً من السجّانين، ووحدة "الكيتير" المسلّحة بالعصيّ الحديديّة، وباشروا بضرب وقمع الأسرى، بعد 5 دقائق تقريباً من الضرب والاعتداء خرج السجّانون و"الكيتر"، وتركوا الأسرى بدمائهم مَلْقيّين على الأرض.

بعد انسحابهم أشار الأسرى إلى أنّ الأسير أبو عصب كان مُلقًى على الأرض ودماؤه تنزف، لكنّه لم يكن يتحرّك، ولم يكن هناك نبض، وبالرغم من محاولات الأسرى في النداء على السجّانين، وطلب المساعدة إلّا أنّهم لم يستجيبوا لهم، ولم يحضر أحد إلّا ممرّض، -وصفه الأسرى بأنّه ممرّض أشقر، متوسّط الطول، وزائد الوزن-، وذلك بعد مرور 10 دقائق، وقال: "بس يموت راح نوخذه". وأفاد الأسير (م، ق) بخصوص استجابة السجّانين: "بعد ساعتين تقريباً، وحسب تقديري أثناء تفقُّد السجّان للغرفة الساعة 8 مساء، تمّ نقل الشهيد ثائر من قبل وحدات وسجّانين، وبعد دقائق أبلغونا أنه توفّي"[11]. وأكّد الأسير سعيد عمران تنكيل وحدة الكيتر قائلاً: "على عدد المساء، اقتحم الزنزانة ما يقارب 15 سجّاناً مدرّعين، وطلبوا من الجميع الركوع على الأرجل، ووضع اليدين على الرأس، ومباشرة هجم السجّانون علينا، وكان معهم كلبان مكمّمان[12]" وأكمل قائلاً: "كان معهم عصيّ سوداء، وضربوني بها حتّى سالت الدماء من رأسي، والضربات التي شعرت أني تأذّيت منها أكثر شيء هي تلك التي كانت موجّهه على منطقة الكلية اليسار، ومع شدّة الضرب إلّا أنّي لم أفقد وعيي، وشاهدت السجّانين يضربون ثائر أبو عصب على رأسه".

بعد استشهاد أبو عصب بيوم، أي بتاريخ 19/11/2023 اقتادوا جميع الأسرى في الغرفة إلى التحقيق لدى الاستخبارات، وأخبروهم بما حصل، وطلب الأسير سعيد عمران أن يشتكي لوحدة "ماحاش"، وهي وحدة التحقيق مع السجّانين. وأثناء التحقيق لدى الاستخبارات سأل الضابط الأسير (م، ق) "هل رأيت السجّان الذي قام بضربه؟" أجاب (م، ق): "لا، لأنّهم كانوا مقنّعين". ثمّ طلبوا من جميع مَن في الغرفة أن نتبنّى رواية أنّ الأسير ثائر أبو عصب توفّي خلال مشكلة بين الأسرى داخل الغرفة، إلّا أنّ جميع الأسرى رفضوا. وفي اليوم التالي، أي بتاريخ 20/11/2023 حضرت وحدة "الماحاش" إلى الزنزانة بناء على طلب الأسير عمران، وقاموا بتصوير الأسرى وأخذ عيّنات الحمض النووي DNA وصوروا الزنزانة أيضاً. وفي اليوم ذاته نشرت "القناة 12" العبريّة تقريراً يفيد بقيام سجّانين إسرائيليّين بضرب أسير فلسطينيّ حتّى الموت في سجن النقب الصحراويّ، وذلك في الوقت الذي تصاعدت فيه التحذيرات من تعمُّد مصلحة السجون الإسرائيليّة تعذيب الأسرى الفلسطينيّين، خلال العدوان الشامل على قطاع غزّة، ونقلاً عن مصادر إسرائيليّة، وضمن ما سُمح به بالنشر ذكر التقرير أنّ وحدة التحقيق (433) الخاصّة بالتحقيق مع السجّانين فتحت تحقيقاً ضدّ 14 متّهماً، بعضهم يشتبه في قيامهم بضرب الأسير والتسبّب بوفاته، وبعضهم يشتبه في تورّطهم بحادثة العنف، ثمّ أُطلق سراحهم، وتمّ منحهم إجازة حتّى إشعار آخر.

[11] مقابلة هاتفيّة أجرتها موظّفة مؤسّسة الضمير مع الأسير المحرّر (م، ق) في تاريخ 6 كانون أوّل 2023
[12] مقابلة أجراها محامي الدفاع للأسير سعيد عمران في سجن النقب بتاريخ 26 آذار 2024

وأوضح التقرير أنّه بحسب الشكوك الأوّليّة قام حرّاس السجن قبل نحو شهر بضرب السجين الأمنيّ في إحدى زنازين السجن بالعصيّ؛ ما أدّى إلى إصابته بجروح خطيرة، مضيفاً أنّه تمّ تقديم العلاج للأسير، ولكن بعد سلسلة من الفحوصات لم يبقَ سوى إعلان وفاته[13]. واعترفت السلطات الإسرائيليّة بتاريخ 21/12/2023 بتعرُّض الأسير ثائر أبو عصب لعمليّة قتل تحت التعذيب في سجن النقب الصحراويّ؛ أي بعد مرور شهر على استشهاده. وتعقيباً على حادثة مقتل الأسير ثائر أبو عصب على يد حرّاس السجن رفض وزير الأمن الداخليّ الإسرائيليّ "ايتمار بن غفير" إجراء محاكمة المشتبه بهم بعمليّة القتل، حيث صرّح قائلاً:" لن أجري محاكمة لحرّاس سجن النقب، ولا بدّ من إجراء تحقيق معمّق قبل تحديد مصيرهم"[14].

كما قام الناطق الرسميّ باسم الجيش الإسرائيليّ بالردّ على الخبر القائل بمقتل عدد من الأسرى الفلسطينيّين، واصفاً الأسرى الفلسطينيّين الذين لقوا حتفهم في مراكز الاعتقال الإسرائيليّة نتيجة تعرّضهم للضرب والتعذيب بـِ"الإرهابيّين" دون إعطاء أيّة معلومات جوهريّة عن ملابسات الموضوع، حيث صرّح قائلاً لوكالة الأخبار الفرنسيّة "فرانس برس": "إنّ التحقيق في وفاة إرهابيّين في مراكز الاعتقال العسكريّة ما زال قيد الإجراء"، دون تحديد أيّ معلومات حول عدد المعتقلين أو ملابسات وفاتهم[15].

كما أفاد الأسير المحرّر عمر العطشان المفرج عنه في بداية شهر ديسمبر عام 2023 ، خلال عمليّة تبادل الأسرى التي تمّت خلال الهدنة في مقابلة له تمّ نشرها على وسائل التواصل الاجتماعيّ، أنّ الأسير ثائر أبو عصب تعرّض للضرب حتّى الموت في الحجز، قائلاً:" تعرّض أبو عصب لضرب متواصل حتّى ألقوه شهيداً، وتمّ الاعتداء عليه وقتله بهذه الطريقة الوحشيّة؛ بسبب سؤاله أحد الحراس فيما إذا كان هنالك هدنة أم لا، عندها أجابه الحارس بالنفي، وفي الليلة ذاتها دخل ما يقارب 15 سجّاناً الزنزانة، وهجموا عليه وضربوه ضرباً مبرحاً حتّى أردوه قتيلاً". ويكمل الأسير عمر عطشان الذي كان في القسم نفسه مع الشهيد ثائر أبو عصب، أنّ السجّانين تعاملوا مع الحدث ببرود أعصاب، ولم يأت أحد منهم إلّا بعد مرور ساعتين، وهذا يؤكّد لنا علمهم المسبق بأنّ أبو عصب كان مُلقًى على الأرض وهو ينزف حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.[16]

ومع استشهاد الأسير ثائر أبو عصب، أُصيب الأسير سعيد عمران بإصابات بليغة نتيجة الاعتداء، ذاته، حيث تمّ ضربه على منطقة الرأس والكلى ومختلف أنحاء الجسد؛ ما تسبّب في نزيف بالرأس، و3 ثقوب في المعدة، وأخرى في الكلية اليسرى. لكنّه لم يتمكّن من معرفة وضعه الصحّيّ إلّا بعد 50 يوماً من الحادثة، حيث رفضت إدارة السجن بشكل قاطع عرض عمران على طبيب مختصّ، على الرغم من أنّه كان يعاني من الدوخة وأوجاع أخرى في مختلف أنحاء الجسد. وبعد 50 يوماً فقد الوعي ليلاً في الزنزانة، فتمّ عرضه على طبيب عيادة السجن، وفي اليوم التالي عرضوه على طبيب السجن الذي قام بتحويله إلى مشفى سوروكا المدنيّ، وأجروا له عمليّة في المعدة لإغلاق الثقوب ووقف النزيف، واتّضح أيضاً أنّه كان يعاني من كسر في 3 أضلاع سفلى من الجهة اليسرى، إضافة إلى كسر في الكوع اليسرى.

[13] الجزيرة. "قناة إسرائيليّة: سجّانون ضربوا أسيراً فلسطينيّاً حتى الموت". 21 كانون الأول 2023 https://tinyurl.com/mr3vr4ba
[14] المركز الفلسطيني للإعلام. "الاحتلال يعترف بقتل الأسير ثائر أبو عصب بالضرب حتى الموت". 21 كانون الأول 2023 https://palinfo.com/news/2023/12/21/868448/

ما حصل من اعتداء على جميع الأسرى يؤكّد سياسة الاستهداف التي اتّبعتها قوّات الاحتلال داخل السجون، والتي لم تستثنِ أحداً من الأسرى، بغضّ النظر عن الأعمار، أو الحالة الصحّيّة للأسرى، وذلك مع اتّباع سياسة الإهمال الطبّيّ بحقّ الأسرى الذين تمّ الاعتداء عليهم، وذلك لم يقتصر فقط على سجن النقب، بل شهدت جميع السجون الإسرائيليّة مثل هذا القمع والتنكيل منذ السابع من أكتوبر.

[15] Haaretz. “Six Palestinians Have Died in Israeli Prisons During the War, Two Found Bruised”. 9 December 2023 https://www.haaretz.com/israel-news/2023-12-09/ty-article-magazine/.premium/six-palestinians-have-died-in-israeli-prisons-during-the-war-two-found-bruised/0000018c-4ea8-df4b-a78e-dfab60f10000

[16] المركز الفلسطيني للإعلام. "الاحتلال يعترف بقتل الأسير ثائر أبو عصب بالضرب حتى الموت". 21 كانون أول 2023 https://palinfo.com/news/2023/12/21/868448/

الشهيد عبدالرحمن البحش

استشهد الأسير عبد الرحمن باسم البحش (23 عاماً) من مدينة نابلس في سجن "مجدّو" بتاريخ 1/1/2024 على يد إدارة مصلحة السجون بفعل تعرّضه للتعذيب، والاعتداء بالضرب المبرح، واستخدام القوّة المفرطة أثناء الاعتداء.

يُذكر أنّ البحش كان قد اعتقل بتاريخ 31/5/2023، وحكم عليه آنذاك بالسجن لمدّة 35 شهراً، وهو أوّل الأسرى الذين استشهدوا في العام 2024 في ظلّ حملات العنف والتعذيب التي تشنّها قوّات الاحتلال الإسرائيليّ بحقّ الأسرى الفلسطينيّين في السجون ومعسكرات الجيش.

وروى الأسير سامح الأشقر بخصوص الاعتداء الذي قام به السجّانون في سجن مجدّو بتاريخ 8/12/2023 قائلاً: "جاء عدد كبير من السجّانين إلى باب الزنزانة، يلبسون كلّ عدّتهم، وأخدونا مقيّدين، ونقلونا لساحة الزنازين التي تخلو من أيّ كاميرات، وكانوا حوالي 40 سجّاناً اعتدوا علينا، واستمرّ الاعتداء ما يقارب 15 دقيقة[17]" وأكمل الأشقر قائلاً: "كان يتألّم البحش من منطقة الأضلاع اليمنى، وعندما ذهب لعيادة السجن، قالوا له أنّه لا يعاني من شيء، وفي المرة الثانية التي خرج بها إلى العيادة قام مدير العيادة بطرده، وبقي في الغرفة مدّة 25 يوماً حتى وصوله لمرحلة عدم تمكّنه من الوقوف على العدد... وفي تاريخ 1/1/2024 لاحظنا أنّ حالته الصحّيّة تراجعت بشكل كبير، وعندما كان يحاول الكلام كانت يفقد التوازن ويقع، وقمنا أنا وباقي الأسرى بحمله ووضعه منتصف القسم وأخدوه السجّانين". وأكمل: "لم نكن نعلم بأنّه استشهد حتّى قام محامي بزيارة للسجن بعد حوالي 4 أيام"[18].

يُعدّ البحش سابع أسير يستشهد في السجون الإسرائيليّة منذ السابع من أكتوبر، ولكن في محاولات مستمرّة لوضع حدّ لهذه الانتهاكات والقوّة المميتة التي تستخدمها دولة الاحتلال، إضافة إلى السعي لمحاسبة ومساءلة المتورّطين في هذه الجرائم، قامت هيئة شؤون الأسرى بتقديم طلب لمحكمة الاحتلال في الخضيرة، ووافقت المحكمة على فتح تحقيق بظروف الاستشهاد، والسماح لطبيب من طرف العائلة بالمشاركة في تشريح الجثمان.

[17] مقابلة أجراها محامي الدفاع للأسير سامح الأشقر بسجن مجدّو في تاريخ 4 آذار 2024
[18] نفس المصدر السابق

ومع مشاركة جمعيّة أطباء لحقوق الإنسان في عمليّة التشريح التي جرت في تاريخ 14/1/2024، أصدرت تقريراً في تاريخ 19/1/2024، وأشار التقرير إلى وجود انهيار كامل للرئة اليمنى، ووجود كميّات كبيرة من السوائل داخل الرئة اليسرى، وأظهرت نتائج التشريح أيضاً وجود تمزّق في الطحال، إضافة إلى وجود كدمات في مناطق مختلفة من جسد البحش، مع وجود كسور في بعض الأضلاع وجميع هذه الأعراض تسبّبت في التهاب رئويّ حادّ، ونظراً إلى عدم وجود أيّ تاريخ طبّيّ للبحش، أو معاناته من أيّ أمراض سابقة لعمليّة اعتقاله. وهذا التقرير يشكّل وثيقة تؤكّد تعرّض البحش للضرب المبرح، وممارسة جريمة طبّيّة أدّت إلى حدوث مضاعفات جسديّة جسيمة أودت بحياته.

نذكر أنّ البحش هو الشهيد الثالث الذي سقط في سجن مجدّو بعد أحداث السابع من أكتوبر، وهذا يؤكّد استخدام السجن القوة المميتة ضدّ الأسرى، وانتهاج سياسة ثابتة في استهداف الأسرى، واستخدام القوّة المفرطة بحقّهم، فحتّى سقوط شهيدين لم يشكّل رادعاً لقوّات الاحتلال المتواجدة داخل السجون، بل استمرّت هذه القوّات بالانتهاكات ذاتها حتّى أصبحت أعداد الأسرى الشهداء تتصاعد بشكل كبير خلال فترة زمنيّة قصيرة جدّاً.

الشهيد محمد الصبّار

اعتقل الأسير محمد الصبّار (21 عاماً) من بلدة الظاهريّة/الخليل في شهر أيّار 2022، وحُوّل إلى الاعتقال الإداريّ، وكان آخر أمر اعتقال إداريّ صدر بحقّه في شهر تشرين الثاني 2023، لمدّة أربعة شهور. كان الصبّار يعاني قبل اعتقاله من مشكلة خَلْقيّة في المعدة والأمعاء[19]، وكان يتلقّى علاجاً ودواء بانتظام، وبحاجة إلى نظام غذائيّ خاصّ. وخلال فترة اعتقاله تعرّض لجريمة الإهمال الطبّيّ التي تضاعفت بعد السابع من أكتوبر، حيث حرم بشكل كامل من العلاج. إلى جانب جرائم التعذيب والتنكيل، وسياسة التجويع التي ضاعفت من معاناة الأسرى في السّجون بشكل غير مسبوق، وأثّرت بشكل مباشر على مصير الصبّار.

وعلى الرغم من معاناة الصبّار من مرض خَلقيّ إلّا أنّه كان قادراً على العيش بصحّة جيّدة طوال حياته، بسبب اتّباعه نظام غذائيّ صحيّ. ولكن في الحالات التي لا يلتزم فيها الصبّار بنظام غذائيّ يتعرّض لإمساك شديد يؤدّي إلى تضخُّم شديد في الأمعاء، وهذا يشكّل ضغطاً على أعضاء البطن، ويؤثّر على عمل أعضاء أخرى، كالكلى والرئتين، ويسبّب اضطراباً في سريان الدم. ويؤدّي التأخر في تشخيص وعلاج مثل هذه الحالة إلى تدهور سريع لا رجعة منها في صحّة المريض. وهذا هو ما حصل مع الصبّار بحسب التقرير الأوّليّ للتشريح من قبل أطبّاء لحقوق الإنسان، حيث عندما نقل إلى المشفى، تبيّن في التصوير المقطعيّ أنّ قُطر الأمعاء الغليظة بلغ 15 سم، وبسبب التأخُّر في تقديم العلاج، ونقله إلى المشفى، بعد 4 ساعات من وصوله للطوارئ انهارت المنظومة الحيويّة لجسمه، ولم يتمكّن الأطبّاء من إنقاذ حياته.

وأكّد التقرير الطبّيّ الخاصّ بالتشريح الذي قامت به جمعيّة أطبّاء لحقوق الإنسان[20] إمكانيّة تفادي وفاة الصبّار في حال التزمت مصلحة السجون أكثر باحتياجاته الطبّيّة، وتمّ تقديم العلاج المناسب في الوقت المناسب. وهذا يظهر بشكل واضح الجرائم الطبّيّة التي تقوم مصلحة السجون بتطبيقها على الأسرى بشكل متعمّد.

[19] يعاني محمد الصبّار من مرض يدعى "داء هيرشسبرونغ"، وهو مرض يؤدّي إلى تعطل وظيفة الأمعاء الغليظة، بسبب مشكلة عصبيّة في جدار الأمعاء؛ ما يسبّب تشوهاً شديداً في إفراغ الأمعاء.
[20] جمعيّة أطباء لحقوق الإنسان- إسرائيل، تقرير الطبّ الشرعي الخاصّ بالشهيد محمد الصبّار المؤرّخ بتاريخ 20 شباط 2024

الشهيد عاصف الرفاعي

اعتقل الأسير عاصف الرفاعي بتاريخ 24/9/2022 من منزله الكائن في بلدة كفرعين قضاء مدينة رام الله، جاء هذا الاعتقال على الرغم من معاناته من مرض السرطان المزمن في القولون والأمعاء، وخضوعه لجلسات العلاج الكيميائيّ.

لم تراعِ ظروف الاعتقال وضعه الصحّيّ الدقيق، بل قامت قوّات الاحتلال بتكبيل يديه، ومشوا فيه مسافة حوالي 4 كيلومترات من البلد، وفي الطريق تعرّض للإغماء؛ لأنّه لا يستطيع المشي مسافات طويلة، واستيقظ ووجد نفسه مكبّلاً في سرير داخل مشفى في مدينة القدس، ومن هناك اقتادوه لمعتقل عوفر للتحقيق، ومن ثمّ للسجن، وبعد فترة من تواجده في سجن عوفر نقل لعيادة سجن الرملة.

بعد تشخيص الرفاعي بمرض السرطان، قرّر الأطبّاء ضرورة خضوعه إلى 12 جلسة علاج كيميائيّ، وكان قد بدأ العلاج ليتمّ 8 جلسات من أصل 12 جلسة قبل الاعتقال، إلّا أنّ الاعتقال حال دون استكمال الجلسات كافّة.

خلال الفترة الأولى لاعتقال الرفاعي التي احتجز خلالها في سجن عوفر، واجه مرحلة صعبة ودقيقة؛ نظراً لوضعه الصحّيّ، حيث لم يتمّ نقله إلى أيّ مشفى مدنيّ لإجراء فحوصات، أو تلقّي العلاج الكيميائيّ، أو إجراء صور أشعّة، وكان يخرج فقط لعيادة السجن كلّ أسبوع مرّة ليقوم في تبديل كيس البراز الذي يكون مثبّتاً من منطقة البطن، وفي النهاية أصبح لا يخرج إلى العيادة، ويقوم هو في تبديل الكيس، وتنظيف مكانه، وتركيب الكيس الجديد.

وبعد تفاقم وضعه الصحّيّ جرى نقله لعيادة سجن الرملة[21]، وبسبب مسمّى "العيادة" يُعتقد للوهلة الأولى أنّه محتجز في عيادة تحت رعاية صحّيّة مستمرّة، إلّا أنّ هذه العيادة بالحقيقة هي سجن، لا تحتوي على الحدّ الأدنى من المعدّات الطبّيّة، أو البيئة الصحّيّة المحيطة التي يحتاجها المرضى. وكان الرفاعي يتلقّى جرعات الكيماويّ في مشفى مدنيّ إسرائيليّ، إلّا أنّ احتجازه في عيادة سجن الرملة، أسهمت في تدهور وضعه الصحّيّ؛ فالظروف المادّيّة للزنازين التي تملؤها الرطوبة، إضافة إلى كميّة ونوعيّة الطعام المقدّم له، ونقله بشكل مستمرّ من المشفى إلى العيادة أدّى إلى تدهور وضعه الصحّيّ، حيث أكّد الشهيد لمحامي الدفاع أثناء زيارة أجراها له في عيادة سجن الرملة بتاريخ 31/10/2023، أنّ الطعام لا يتلاءم مع حالة المرضى الصحّيّة، واحتياجاتهم الغذائيّة.

في الآونة الأخيرة من حياة الرفاعي كان قد انتشر المرض في كلّ جسده، حيث تبيّن ذلك من خلال فحوصات كان قد أجراها بمتابعة طبّيّة من قبل مؤسّسات حقوقيّة في مشفى مدنيّ، وعلى الرغم من خضوعه للعلاج الكيميائيّ في مستشفى (أساف هاروفيه)، ولكن شراسة المرض كانت قد نالت من جسده الهزيل، وعلى الرغم من أخطار الموت التي كانت تهدّد حياته إلّا أنّه لم يُسمح لعائلته من زيارته داخل السجن، ولم يتمّ الإفراج عنه.

خلال السنوات الماضية استُشهد داخل ما تُسمّى "عيادة سجن الرملة" عدد من الشهداء جرّاء إصابتهم بمرض السرطان، كالأسير الشهيد "سامي أبو دياك "، والأسير الشهيد "بسام السايح " اللذين استشهدا في العام 2019، والأسير الشهيد "كمال أبو وعر" الذي استشهد في عام 2020، والشهيد الأسير "ناصر أبو حميد" الذي استشهد في عام 2022، والشهيد الأسير "عاصف الرفاعي" الذي استشهد بداية العام الحالي 2024. وجميعهم باستثناء الأسير الشهيد "سامي أبو دياك" ما زالت جثامينهم محتجزة لدى الاحتلال.

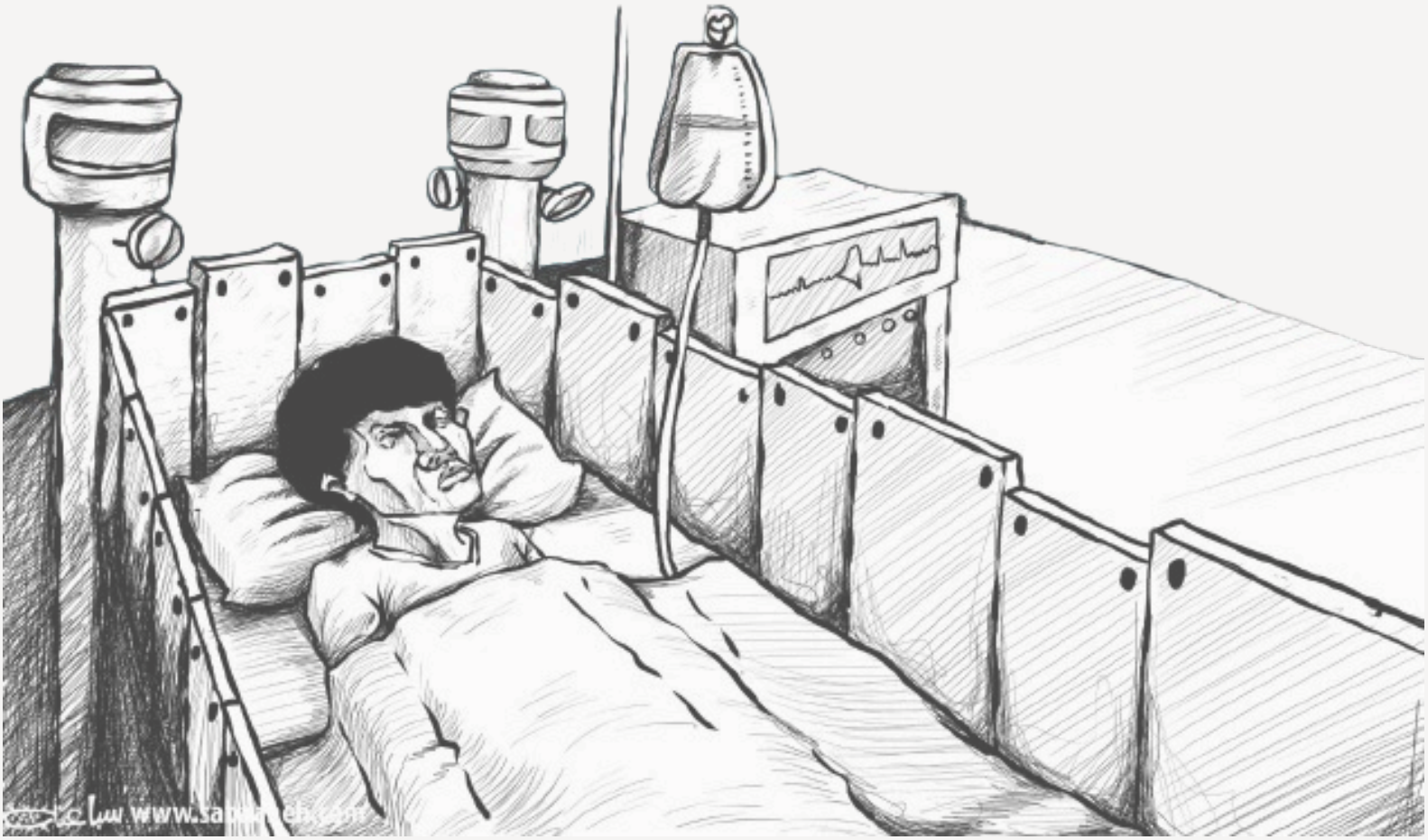

[21] سجن الرملة أو ما يسمّى "بعيادة سجن الرملة" يقع ما بين مدينتي الرملة واللد، شيّد أيام الاحتلال البريطانيّ لفلسطين عام 1934، وهو مجمع من عدة سجون، من ضمنها عيادة الرملة المخصّصة للأسرى المرضى الذين لا يستطيعون العيش في السجون لصعوبة وضعهم الصحيّ.

الخاتمة

تستمرّ دولة الاحتلال بجرائمها الممارسة بحقّ الأسرى الفلسطينيّين، منها: الجرائم الطبّيّة، والتعذيب، والحالات التي كانت ضحيّة لأكثر من سياسة معاً كما ذكرنا سابقاً. وعلى الرغم من أنّ التجربة التاريخيّة أثبتت أنّ هذه الجرائم تمسّ الحقّ في الحياة للأسرى، والعديد من الحقوق غير القابلة للتصرّف، إلّا أنّ دولة الاحتلال لا تزال تتعمّد انتهاك هذه الحقوق والاستمرار في الجرائم، التي أخذت منحنى خطيراً جدّاً بعد السابع من أكتوبر، وسقط ضحيّتها 12 شهيداً معلناً عنهم بشكل رسميّ[22]، و27 شهيداً في المعسكرات الإسرائيليّة لا تزال ظروف استشهادهم وهويّاتهم مجهولة، ومع سقوط هؤلاء الشهداء التي تحتجز دولة الاحتلال جثامينهم، يصبح عدد الجثامين المحتجزة لدى دولة الاحتلال (23) جثماناً[23]. وهذا يبرهن النهج الإجراميّ الذي تقوم عليه دولة الاحتلال الإسرائيليّ، والتي تستهدف الأسرى بشكل ممنهج دون أيّ محاسبة، أو رقابة من قبل المستوى السياسيّ الأعلى.

[22] هذا الرقم يعكس عدد الأسرى الشهداء منذ السابع من اكتوبر حتى تاريخ 29 شباط 2024
[23] هذا الرقم يعكس عدد الجثامين المحتجزة للأسرى الشهداء حتى تاريخ 29 شباط 2024